واعْلَمْ أن هاهُنا دقائقَ لو أنّ الكنديّ استقرأ وتصفّحَ وتتبّعَ مواقِعَ " إِنّ " : ثم أَلْطَفَ النظرَ وأكثر التدبُّرَ لَعَلِمَ عِلْمَ ضرورةٍ أنْ ليس سواءً دخولُها وأن لا تَدْخلَ . فأوّلُ ذلك وأعجبُه ما قدّمتُ لك ذكرَه في بيتِ بشارٍ : .

(بَكّرا صاحِبَيّ قبلَ الهَجيرِ ... إنّ ذاكَ النّجاحَ في التّبْكير) .

وما أنشدتُه معه من قولِ بعض العرب : .

(فَغَنّها وَهْيَ لكَ الفِداءُ ... إنّ غِناءَ الإِبلِ الحُداءُ) .

وذلك أنه هَلْ شيءٌ أبْينُ في الفائِدة وأدلُّ على أنْ ليس سواءً دخولُها وأنْ لا تدخل من أنك ترى الجملةَ إذا هيَ دخلتْ ترتبطُ بما قبلها وتأتلفُ معه وتَتّحدُ به . حتى كأنّ الكلامين قد أُفرغا إفراغاً واحداً وكأنّ أحدَهما قد سُبِكَ في الآخَرِ .

هذه هي الصورةُ حتى إذا جئتَ إلى " إنّ " فأسقطتَها رأيتَ الثاني منهما قد نَبا عن الأوّل وتجافى معناه عن معناه ورأيتَه لا يتصلُ بهولا يكونُ منه بسبيل حتى تجيءَ بالفاء فتقول : بكّرا صاحبَيّ قبل الهجير فذاكَ النجاحُ في التّبكير وغنّها وهي لك الفداءُ فغناءُ الإِبلِ الحُداءُ . ثم لا ترى الفاءَ تعيدُ الجملتين إلى ما كانتا عليه مِنَ الألفة ولا تردُّ عليك الذي كنت تجد ب " إنّ " من المعنى .

وهذا الضربُ كثيرٌ في التّنزيلِ جدّاً من ذلك قولُه تعالى : (يَا أَيّهَا النّاسُ اتّقُوا رَبّكُمْ إِنّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظيمٌ) وقولُه عزّ اسمُه : (يَا بُنَيّ أَقِمِ الصّلاَةَ وأْمُرْ بالمَعْرُوفِ وانْهَ عَنِ المُنْكَرِ واصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إنّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) وقولُه سبحانه : (خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ وَتُزَكّيهِمْ بِها وَصَلّ عَلَيْهِمْ إنّ صلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) ومن أَبْينَ ذلك قولُه تعالى : (ولا تُخَاطِبْنِي في الّذينَ ظَلَمُوا إنّهُمْ مُغْرَقُوْنَ) وقد يتكّررُ في الآيةِ الواحدةِ كقوله عزّ اسمُه : (وما أُبَرّىءُ نَفْسي إنّ النفسَ لأَمّارةٌ بالسّوء إلاّ ما رَحِمَ رَبّي إنّ ربّي غَفورٌ رَحيمٌ) وهي على الجملةِ من الكَثْرةِ بحيثُ لا يدركُها الإِحصاءُ